أثرُ أسبابُ النزولِ
في توجيه معنى النصّ القرآنيِ ودلالتهِ

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

The impact of the reasons for revelation in guiding the meaning and significance of the Qur'anic text

Asst. Hawraa Kazem Jawad Al-Khuzai
College of Islamic Sciences / University of Karbala
Email: hawraa.k@uokerbala.edu.iq

ملخص البحث

الحمد لله على ما ألهم وله الشكر على ما قدم والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمع ، إنَّ الوقوف على حقيقة تفسير آي القرآن الكريم ، وأسباب نزولها يُمَكِّن القارئ من معرفة وجه الحكمة التي تنطوي عليها آيات القرآن ، ويساعد الدارس من ربط السَّبب بالمسَّبب ، ومن ثمَّ الوقوف على غوامض المعاني وسبر أغوارها ؛ ذلك أنَّ معرفة أسباب النزول تُعين على فهم الآية ، فذلك أنَّ العلم بالسَّبب يورث العلم بالمسَّبب، وإزالة الإشكالات التي قد يقع فيها قارئ القرآن وبيان وجه الحكمة الإلهيّة من اختيار النصوص القرآنية ، ولا سيما أنّ القرآن الكريم لا يتحدد بعصر دون آخر ، أو مكان دون آخر ، إنّما هو عام لكل البشر و لكلِّ زمان ومكان، ولا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلاَّ بالرواية والسّماع ، ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علومها وجدُّوا في الطلب .

فقد كان الصحابة يعتمدون على الرواية ويعدّونها المصدر الرئيس لها ، على أساس لا يحل أسباب النزول إلَّا بالرواية والسّماع ، ممّن شاهدوا الوحي والتنزيل ووقفوا على الأسباب .

إنَّ للنَّصِّ القُرآني أثرًا كبيرًا في توجيه أسباب النزول ؛ لأنّه يتولد من معرفة أسباب النزول سببٌ في توجيه معاني النص القرآني وبيان دلالاته ، إذ إنّه اتخذ مدخلًا أساسيًا من مداخل التفسير القرآني ، فأنَّ معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، هكذا نجد أنَّ الآيات القرآنية أكثر اِتساعًا في بيان حالها ، فالآية لا تختص بمورد نزولها بل تجري في كل مورد يتفق ومورد النزول كالأمثال ، فأنَّها لا تختص بموردها الأول بل تتعداها إلى ما يناسبها[1].

(١) يُنظر اللباب في تفسير الكتاب ، كمال الحيدري ، ط١ ، ١/ ٣.

Abstract

Praise be to God for what He has inspired, and thanks be to Him for what He has given, and prayers and peace be upon His Prophet Muhammad and upon his family and all his companions. Understanding the truth about the interpretation of verses in the Holy Qur'an, and the reasons for their revelation, enables the reader to know the face of the wisdom contained in the verses of the Qur'an, and helps the student to connect the reason to the cause. Then, examining the ambiguities of meanings and exploring their depths; This is because knowing the reasons for the revelation helps in understanding the verse, because knowledge of the reason bequeaths knowledge of the cause, removing the problems that the reciter of the Qur'an may fall into, and clarifying the aspect of divine wisdom in choosing the Qur'anic texts.Especially since the Holy Qur'an is not specific to one era or another, or one place to the other, but rather it is general to all people and to every time and place, and it is not permissible to say about the reasons for the revelation of the Book except by narration and hearing, from those who witnessed the revelation and learned about the reasons, and searched for its sciences and were diligent in seeking it. .

The Companions relied on the narration and considered it the main source for it, on the basis that the reasons for the revelation cannot be resolved except through narration and

hearing, from those who witnessed the revelation and revelation and understood the reasons.

The Qur'anic text has a great impact in directing the reasons for the revelation. Because it is generated from knowing the reasons for the revelation, a reason for directing the meanings of the Qur'anic text and clarifying its implications, as it was taken as a basic approach to Quranic interpretation. Knowing the reason for the revelation helps in understanding the verse. Thus, we find that the Qur'anic verses are more extensive in explaining their situation, as the verse is not specific to the origin of its revelation. Rather, it occurs in every context that agrees with the source of revelation, such as proverbs. It is not specific to its first source, but rather extends beyond it to what suits it.

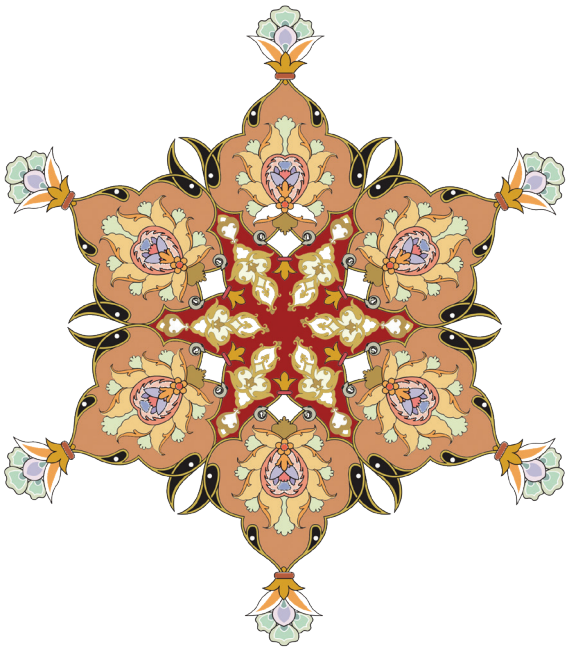

المقدمة

الحمد لله على ما انعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء على ما قدَّم ، فعلَّم الإنسان ما لم يعلم ، وفَضَّله على سائر خلقه ، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث أفضل من تأخر برسالته ، ومعجزته القرآن الكريم الذي ضمَّ أروع الأساليب البيانية وأجلَّ الخصائص البلاغية التي سيطرت على الملكات الأدبيّة ، واجتذبتها حتى ورد في قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]

لقد حرص الكثير من العلماء قديمًا وحديثًا على قراءة القرآن الكريم وتفسيره والعمل به واستخراج أسراره وأحكامه ، فاعتنى بعضهم بتفسيره وبيان معانيه وإعجازه ، وآخرون بقراءته وتجويده وترتيله ، ومنهم من اختصّ بعلومه ومباحثه والتي منها موضوع بحثنا (أسباب النزول)

وممّا لا يخفى أنّ آيات القرآن الكريم تنقسم على قسمين :

أ- قسم غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة ، فهو لهداية البشر بما يتضمنه من أحكام توجيهية ، وأخلاقية في السلوك والتعامل.

ب- والقسم الثاني مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة ،وهذا هو موضع عناية بحثنا فهو موضوع ليس بالسهل وهو يحتاج إلى جهد ووقت ، وقد واجهت متاعب كثيرة وأنا أبحث في مسائله ؛ لصعوبتها وما يترتب عليها من خلافات وآراء متضاربة بين العلماء.

وارتأيت أن أقسِّم بحثي على مبحثين يسبقهما التمهيد وتناولتُ في (المبحث الأول) تعريف أسباب النزول في اللغة والاصطلاح ، وتطبيقات قرآنية حول أسباب النزول، وأثر النص القرآني في توجيه أسباب النزول .

أمّا المبحث الثاني : تناولت فيه فكرة أسباب النزول في مدرسة أهل البيت ، وعند الصحابة والتابعين ، وأيضا تناولت الفرق بين أسباب النزول ومناسبة النزول.

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨ .

واختتمت بحثي بخاتمة تضمنت خلاصة البحث ، وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

القرآن الكريم هو دستور الله في الأرض ، جاء لهداية الناس وتنوير أفكارهم وترويض أرواحهم وعقولهم ، فهو بحد ذاته معالجًا لمشاكل المجتمع تناولها تفصيلا واضعًا لها الحلول، ومخاطبا بذلك العقل البشري مختارا لنفسه تعالى خليلا وحبيبا وهاديا من بينهم ؛ كي يكون أقرب إلى هدايتهم وإقناعهم ، وعلى هذا الأساس انقسمت آيات القرآن الكريم على قسمين :

أولًا : الآيات التي نزلت لأجل الهداية والتربية ، والتنوير دون أسباب ظاهرة في عصر نزولها

القسم الثاني : الآيات التي نزلت لأسباب مثيرة وقعت في عصر الوحي ، واقتضت نزول الوحي بشأنها ، وذلك من قبيل سؤال أهل الكتاب عن الروح من النبي ، فقد اقتضت الحكمة الالهية أن يجيب عليه القرآن في قوله تعالى﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]

وبهذا أصبح ذلك السؤال من أسباب النزول ، وما وقع من بناء المنافقين لمسجد ضرار بقصد الفتنة ، فقد كانت هذه المحاولة من المنافقين مشكلة تعرضت لها الدعوة وأثارت نزول الوحي بشأنها إذ جاء قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وأرصادا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2]

وكذلك المعارك التي خاضها المسلمون في بدر ، وأحد ، والأحزاب والحديبية ، وحنين، وتبوك) وغيرها .

فهذه قضايا وقعت في عصر الوحي ، وكانت داعية لنزول الوحي فشكلت سببا من أسباب النزول.

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥ .

(٢)سورة التوبة ، الآية : ١٠٧ .

ويرى القدامى أنَّ ثمانية أعشار آيات المصحف ليست لها سبب نزول ، وهو يخالف رأي المعاصرين الذين يرون اقتران آيات القرآن كلها بأسباب نزول تاريخية ،بحيث أصبح هذا العلم خاصًّا بدراسة تاريخية النصوص القرآنية ومناسبتها .

فلو اطَّلعنا على التفاسير القرآنية نجد حضورا بارزا لأسباب نزول النصوص القرآنية والروايات حولها ، التي تعددت بتعدد الآيات واختلافها فقبلت وجوها من الاحتمالات والافتراضات ؛ ذلك أننا نجهل عصر نزول القرآن فقد تتشابه روايتان وهما تتعلقان بسبب واحد فنقف ، ونحن لا نملك الدليل القاطع بأيهما أقرب إلى الصحة كما ورد في قول العلماء (أنَّ المرويات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم)[1] .

وممّا لا يخفى للعيان أنَّ النبي محمد ﷺ كان في عصر الوحي والدعوة هو المبلِّغ والمبيِّن لما خفي من كتاب الله ، فتلقَّى عنه جيل الصحابة هذا البيان والتفسير ، عن طريق النقل والقول ، غير أنَّ درجات الفهم والتلقي تختلف من صحابي لآخر، إلاَّ أنَّ ما أجمع المسلمون عليه ، أنَّ أعلم المسلمين بالكتاب والسنَّة بعد الرسول محمد ﷺ هو الإمام علي عليه السلام .

ويؤكد الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) : أنَّ من عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ؛ فأنه يريد بذلك أنّها تتضمن هذا الحكم لا أنَّ هذا كان السبب في نزولها .

فهو من حيث الاستدلال على الحكم بالآية ، فقد كان الصحابة يعتمدون على الرواية ويعدُّونها المصدر الرئيس لها ، على أنهُ لا يحل أسباب النزول إلاَّ بالرواية والسماع ، ممن شاهدوا الوحي والتنزيل ووقفوا على الأسباب .

وقد كثرت الكتب التي تناولت قضية أسباب النزول منها ما وقفنا عليه ، ومنها لم تتح لنا الفرصة الأخذ منه ، ومن أشهر هذه الكتب :

أسباب النزول لعلي المديني ت (٢٣٤هـ) فهو يعد عند أهل السنة أول من صنف أسباب النزول بشكل مستقل ، والفهرست لابن النديم ت(٣٨٤هـ) خصص فيه فصلا تحدث عن

(١) ينظر التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن ينظر ، ٩٧/ ٢ و، ٢/ ١٦٧.

أسباب النزول ، وأسباب النزول لابن مطرف ت(٤٠٢هـ)، وأسباب النزول على مذهب آل الرسول لابن شهر آشوب ت(٥٨٨هـ) ، وأسباب النزول لابن الجوزي ت (٥٩٧هـ)، والعجاب في بيان الأسباب لأحمد بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) ، ولباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ) ، وتسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول لخالد عبد الرحمن العك ، والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ، والمحرر في أسباب النزول في الكتب التسعة لخالد المزيني ، وصحيح أسباب النزول لإبراهيم العلي، والجامع في أسباب النزول لحسن شبلي .

المبحث الأول

مفهوم أسباب النزول في اللغة والاصطلاح :

فالسبب في اللغة : هو" الحبل ، وأيضا كل شيء يتوصل به إلى غيره "[١].

السبب : كل شيء يتوصل به إلى غيره ، وأيضا كل شيء يتوسل به إلى شيء غيره وقد تسبب إليه ، والجمع أسباب (فكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب ، وجعلت فلانًا لي سببًا إلى فلان في حاجتي وودجًا : أي وصلةً وذريعة)[٢].

والنزول : الحلول ، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ، ينزل نزولا ومَنزِلًا بالكسر شاذ[٣]

(النزول : بالضم الحلول وهو في الأصل انحطاط من علو ، وقد نزلهم ونزل بهم ونزل عليهم ، نُزُولًا بالضم ، ومنزلًا : كمقعد ومجلس وهذه شاذة)[٤]

نزل : النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه ، ونزل عن دابة نزولًا ، ونزل المطر من السماء نزولًا [٥].

(١) الصحاح لابي نصر إسماعيل الجواهري الفارابي ، ١/ ١٠.
(٢) لسان العرب لابن منظور ، ٧/ ١٣٩.
(٣) المصدر نفسه ، ٧ / ١١١.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس محي الدين أبي الفيض السيد مرتضى الحسيني ، ١٥/ ٧٢٨.
(٥) معجم مقايس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ط ١ ، ٩٨٦.

السبب اصطلاحا : (خبر من الله عز وجل يشير إلى طلب لاحق ، وبعبارة أخرى : هو حكمٌ وضعي يفرق بحكم تكليفي)[١]

سبب النزول : هو ما نزل القرآن من أجله ؛ للإجابة عنه ، أو لبيان حكمه وزمن وقوعه[٢] .

سبب النزول : هو كل قول ، أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه[٣].

فسبب النزول : هو ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه ، كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية ، أو آيات من القرآن تبيّن الحكم فيها ، أو كسؤال يوجه إلى الرسول محمدﷺ، فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليها كما في قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ...﴾[٤] السؤال هنا عن المستقبل [٥] (أسباب النزول : هي أمور وقعت في عصر الوحي ، واقتضت نزول الوحي بشأنها)[٦]، كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾[٧]

تطبيقات قرآنية في اصطلاح أسباب النزول :

هناك تطبيقات قرآنية عدّة في اصطلاح أسباب النزول لا يسعنا ذكرها جميعًا ، إلّا أني أخذت منها وتنوعت بها ما بين المدح والذم وغيرها ، بحسبِ الظروف والاقتضاء ، ومن هذه التطبيقات :

أولا : اطعام المسكين واليتيم والأسير :

(مرَضَ الحَسَنان فنذر الإمام علي ﷺ صوم ثلاثة أيام لله تعالى عند شفائهما ، فشفيا ، فصام وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وجاريتهم فضة ، وكانوا إذا أرادوا الإفطار جاءهم

(١) أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، عماد الدين محمد الرشيد ، ٢٢.
(٢) أسباب النزول القرآني، غازي عناية ط ١ ، ١٣-١٤.
(٣) المحرر في اسباب نزول القرآن، خالد سليمان ، ١/ ١٠.
(٤) سورة النازعات آلآية : ٤٢.
(٥) دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد عبد الرحمن الرومي ط ٢ ، ١٣٦.
(٦) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم ط ٣ ، ٤٤.
(٧) سورة التوبة ، الآية : ١٠١.

في اليوم الأول مسكين ، واليوم الثاني يتيم ، واليوم الثالث أسير ، وكانوا يعطونهم ويفطرون على الماء وحده كل ليلة)[١]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [٢] .

ثانيا : إحياء الموتى وحشرهم للحساب : قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٣]

قال أبو سعيد الخدري :(كان بنو سلمه في ناحية من المدينة ، فأرادوا أن ينتقلوا قرب المسجد فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فقال لهم النبي ﷺ :((أنّ آثاركم تكتب فلما تنتقلون ؟))[٤].

ثالثا : الأذنُ للمؤمنين بالقتال وواعدهم ربّهم بالنصر ، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٥]

(كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج ، فشكوهم إلى رسول الله ﷺ فقال لهم : اصبروا فأني لم أُؤْمَر بالقتال، حتى هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنزل الله تعالى هذه الآية)[٦].

رابعا : سؤال اليهود للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[٧]

أخرج الواحدي عن قتادة قوله : (إنَّ اليهود سألوا نبي الله محمد ﷺ عن ذي القرنين ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[٨].

(١) أسباب النزول بين الرد والقبول، حسين عبد الله ط ٢ ، ١٣-١٤.
(٢) سورة الإنسان ، الآية : ٩.
(٣) سورة يس ، الآية : ١٢.
(٤) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ١٣٦.
(٥) سورة الحج ، الآية : ٣٩.
(٦) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ط ٣ ، ٢٦٩.
(٧) سورة الكهف ، الاية : ٨٣.
(٨) أسباب النزول القرآني ، د . غازي عناية ، ط ١ ، ١٦.

من هذه التطبيقات القرآنية المذكورة آنفًا يتضح أنَّ أسباب النزول ليست على مثال واحد ، وإنما تتنوع بحسبِ مقتضيات الحادثة فقد تكون مدحًا وإطراءً لموقف ، أو تعقيبًا على حادثة ، أو بيانا لحكم وغيرها وذلك بحسبِ الظروف والأحداث .

أثر النص القرآني في تبيان أسباب النزول :

إنَّ للنصِّ القرآني أثرًا كبيرًا في توجيه أسباب النزول ؛ لأنه يتولد من معرفة أسباب النزول سببٌ في توجيه معاني النص القرآني وبيان دلالاته ، إذ إنَّه اتَّخَذَ مدخلًا أساسيًا من مداخل التفسير القرآني ، فإنَّ معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ؛ ذلك أنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وهذا بيِّن .

إنَّ لسبب النزول فوائد عدّة ، لا يستغنى عنها في أي حال من الأحوال ، فهناك آيات لا نستطيع الوقوف على معناها الصحيح والدقيق ، إلاَّ إذا علمنا سبب نزولها ومغزاها .

ومن هذه النصوص التي تطرقتُ إليها ، التي لها أثر في توجيه أسباب النزول :

قوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

إذ ورد في الحديث عن حسن بن علي الحلواني ، عن أبي توبة عن معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام أنّه سمع أبا سلام قائلًا : حدثني النعمان بن بشير قائلًا : كنتُ عند منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رجلٌ : ما أبالي ألَّا أعمل عملًا بعد الإسلام إلاَّ أن أسقي الحاج ، وقال آخر ما أبالي ألاَّ أعمل عملًا بعد الإسلام إلَّا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صلَّيت الجمعة دخلت فاستفتيت فيما اختلفتم فيه فنزل قوله عزَّ وجل ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]

(١) سورة التوبة ، الاية : ١٩ .

(٢) الصحيح المسند من أسباب النزول ، أبو عبد الرحمن مقيل الوادعي ، ط٢ ، ،١٢٠ .

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى ، قال لما نزل قوله تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم " قال أبو جهل : ذاك إلينا إنْ شئنا استقمنا ، وانْ شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] ، وأخرج أبن أبي حاتم ، عن عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة مثله ، وأخرج أبن المنذر عن سليمان عن القاسم بن مخمر مثله[2] ، قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[3] ، وأخرج ابن منذر عن ابن جرير في قوله (وأسيرًا) قائلاً : لم يكن النبي محمد ﷺ يأسر أهل الإسلام ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك ، كانوا يأسرونهم في العذاب ، فنزلت فيهم ، فكان النبي محمد ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم)[4].

وأيضًا قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾[5]

قال مقاتل والكلبي :(نزلت في العاص بن وائل السهمي ، وقال ابن جرير : كان أبو سفيان ينحر كل أسبوع جزورين ، فأتاه يتيم فسأله شيئًا فقرعه ، فأنزل تعالى قوله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ....﴾[6] .

وورد أيضًا قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[7]

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (صعدَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم الصفا فقال : يا صباحاه ! فأقبلت إليه قريش ، فقالوا لهُ : مالكَ ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم ، أنَّ العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقوني ، قالوا : بلى ، قال : فأني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك ! ، لهذا دعوتنا جميعًا ؟ فانزلَ الله

(١) سورة التكوير ، الاية : ٢٩.
(٢) لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، ط١ ، ٢٤٩.
(٣) سورة الإنسان ، الاية : ٨ .
(٤) لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، ط١، ٢٤٠.
(٥) سورة الماعون ، الاية :١ .
(٦) أسباب النزول، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري ، ط١، ٣٧٦-٣.
(٧) سورة المسد ، الآيات : من ١-٥.

تعالى هذه السورة)[1] وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]

وعن مصعب بن سعد عن أبيه : أَنَّهُ نزلت فيهِ آيات من القرآن ، وقال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا ، حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أنَّ الله وصاك بوالديك ، وأنا أمك أنا آمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد ، فقام ابنٌ لها يقال لهُ عمارة فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عزَّ وجل في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]

وفيها وصاحبهما في الدنيا معروفًا .

وأيضا قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾[4] عن أنس بن مالك (رضي الله عنهُ) قال إنّ هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيه﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ، واللفظ للبخاري ، عن أنس قال : جاء زيدٌ بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ ، يقول : اتقِ الله ، وامسِك عليك زوجكَ ، فنزلت ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيه﴾

قال أنس:(فلو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآية ، فما أُولِمَ على امرأة من نسائهِ ما أُولِمَ عليها ذبح شاة " فلما قضى زيدٌ منها وطرًا زوجناكها " قال: فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[5].

(١) أسباب النزول ، أبي علي الفضل الطبرسي ، ط١ ، ٣٧٧.
(٢) سورة العنكبوت ، الاية : ٨ .
(٣) صحيح أسباب النزول ، إبراهيم محمد العلي ، ط١ ، ١٧٧ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .
(٥) صحيح البخاري أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ط١ كتاب التوحيد ، ١٨٣١ .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1]

روى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه ، وروى أبو بكر الرازي في كتاب(أحكام القرآن) على ما حكاه المغربي ، والرماني والطبري ، أنّها نزلت في عليٍ عليه السلام حين تصدَّق بخاتمهِ وهو راكع ، وهو قول مجاهد والسرِّي ، والمروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله [2]عليه السلام ، وورد قوله تعالى في اختلال النظام الكوني ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾[3] أخبرنا أبو منصور البغدادي ومحمد بن إبراهيم المذكي قال : عن عبد الله بن عمر قال : نزلت : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر قاعد ، فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا أبا بكر ، فقال : أبكتني هذه السورة ، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله):(لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون ، لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم)[4] .

وهكذا يتبين من هذه النصوص القرآنية المتنوعة ، أنَّ لكل نصٍّ قرآني حادثة معينة، وسببًا معيّن ، أدى إلى نزول هذا النص القرآني فهي بذلك السبيل لمعرفة معاني القرآن الكريم .

المبحث الثاني

دلالة أسباب النزول في مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

وردت فكرة أسباب النزول في روايات عدَّة عن أهل البيت عليهم السلام ، ولقد كان لها الصدارة في بيان المقصود من أسباب النزول، ولا سيما أنّهم أول من استعمل هذا المصطلح ، فقد ورد في عدد من كلمات الأئمة عليهم السلام إشارات ركزت على أهمية روايات أسباب النزول ، وعند التأمل في هذه الكلمات يتبين أنّها تشير إلى مجال واسع .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥.
(٢) أسباب النزول ، أبي علي الفضل الطبرسي ، ط١ ، ١٦٢.
(٣) سورة الزلزلة ، الآية :١ .
(٤) أسباب النزول ، أبي الحسن علي الواحدي النيسابوري ، ٣٠٤.

ومن ذلك ما وردَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يعبِّر عنها بقوله : (فبمَ نزلت ، وأين نزلت ، وعلى مَنْ نزلت ؟)[1] ، فإنّ معناها فيمَ أنزلت ، أو في أي شيء نزلت ؟ ، وهذه عنوانات عامة تندرج تحتها مختلف الشؤون والظروف التي نزلت فيها الآية ، فقد ثبتوا دورها كعنصر في بيان الحقائق والمفاهيم المرتبطة بالقرآن من جهة، وبمجمل أوضاع الإسلام والمسلمين من جهة أخرى)[2].

وقد حدَّدت روايات أهل البيت عليهم السلام يوم السابع والعشرين من رجب ٦١٠ ، إذ إنّ مولد الرسول صلى الله عليه وآله في ٥٧١هـ من عام الفيل ، اليو الذي تلقى فيه الرسول الوحي ومبعثه ، حيث إنَّ المصادر ارتأت التلازم بين البعثة ونزول القرآن تاريخيا وروايات أهل البيت تأبى ذلك ، بل ترى تخلل فترة تاريخية بينهما ، فقد صرَّح القرآن الكريم بنزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان [3]، كما ورد في قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ..﴾[4] فإنَّ مفهوم أسباب النزول عند أهل البيت عليهم السلام هو أنَّ الآية جارية بأحكامها ومفاهيمها ما لم تكن خاصة في مورد معين ما دامت البشرية .

وعلي عليه السلام منَحَتُه السماء امتيازا خاصًا وشرفًا عظيمًا نالهُ ؛ لمنزلته لذا قال عنه النبي صلى الله عليه وآله : في الحديث المروي عن أنَس بن مالك (علي يعلّم الناس بعدي من تأويل القرآن ما لا يعلمون بخبره)[5] ، وأهل البيت عليهم السلام كانوا يستوحون أسباب النزول في القضايا التي وقعت مثاراً للجدل ، وفي مقدمتها قضية الإمامة ، وموقف الأئمة من أهل البيت عليهم السلام منها ، وقد ثارت مسألة مهمة تختص بأسباب النزول ، وهي أنهُ يمكن عدّنزول الآية ، أو مَنْ نزلتْ به الآية (التفسير الظاهر للقرآن) ، وأنَّ من سيكون بوصفه مستقبلا (التفسير الباطن للقرآن)[6].

(١) بحار الانوار الشيخ محمد باقر المجلسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ٤٠/ ١٥٧
(٢) أسباب النزول القرآني تاريخ وحقائق ، حسن محسن حيدر ، ط١ ، ١١١ ، ٤٥
(٣) دراسة حول القرآن الكريم ، محمد حسين الحسيني الجلالي ، ط١ ، ٢٢
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥
(٥) شواهد التنزيل عبد الله الحاكم الحسكاني تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ط٢ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنانص٢٩
(٦) أسباب النزول عند الأمامية ، أمل سهيل عبد ، ٩٠-٩٢

وورد في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

فوردَ عن يونُس بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام [2].

ثارت مسألة مهمة حول نزول القرآن الكريم ، وهي أنَّ البعثة النبوية وبداية نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله كانت في يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب ،في حين يشير القرآن الكريم والروايات الخاصة بالشريعة الإسلامية إلى أنَّ نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان في ليلة القدر المباركة تحديدًا .

فأهل البيت يُعِدُّون شهر رمضان غرة شهور السنة [3] ؛ لأنَّ الله تعالى عظَّم شهر رمضان في قوله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[4].

إنَّ من جملة ما أفاضه أئمة أهل البيت عليهم السلام من علوم ومعارف هو علم التفسير والتأويل، فهو الأساس في فهم القرآن الكريم ، فقد تصدى الإمام علي عليه السلام بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله لمهمة تفسير القرآن ، وبيان ما فيه من فقه وعلوم ومعارف ، فما نقصده بمدرسة أهل البيت عليهم السلام هو ذلك الصرح العلمي ، والمنهج الشامل الذي مثله أئمة أهل البيت عليهم السلام على أساس الكتاب والسنَّة وتوارثوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

(فالقرآن الكريم نزل بوحيٍ من الله وأنَّ نزوله بدأ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، وقد نزل مفرقًا على شكل آيات ، أو سور أحيانًا ، ولم ينزل بصورة كاملة دفعة واحدة)[5] ، وأورد ابن حِجْر عن الإمام علي عليه السلام أنَّهُ جمع القرآن على ترتيب النزول عقب

(١) سورة الفجر ، الآيات: ٢٧-٣٠.
(٢) أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام، للسيد محمد جواد جعفر الرفيعي ، ط١ ، ٢٣٠.
(٣) ينظر موجز تأريخ القرآن ، عبد الأمير النجار ، ط١ ، ٣٠-٣٤.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥.
(٥) القرآن في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، هاشم الموسوي ، ط١ ، ١٠-١٣

موت النبي محمد ﷺ وخرَّجه ابن أبي داوود ، وقد أثبت الزنجاني في تقسيمه جمع الإمام علي ﷺ للمصحف في سبعة أجزاء ، وبذلك يكون الأمام علي ﷺ أول من حقَّق في تثبت نزول القرآن تاريخيا [١] .

قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٢]

عن علي ﷺ (أنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام لكل منها شاذٌ وهي: أمرٌ وزجرٌ ، وترغيبٌ وترهيبٌ ، وجدلٌ ومثلٌ وقصص ، وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وخاصٌ وعام ، ومقدم ومؤخر ، وحلالٌ وحرام ، وفرائض وأحكام ، ومنقطع ومعطوف ،ومنقطع غير معطوف ،وحرفٌ مكان حرف) . [٣]

وورد قوله تعالى أيضا ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[٤]

وروي أنَّ سبب نزول هذه الآية (أنَّ رجلًا قال : يا رسول الله نحن نسلِّمُ عليك كما يسلِّمُ بعضنا على بعض ألا نسجد لك ، قال : لا ينبغي أن يُسجَد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله هذه الآية) [٥].

ثانيًا : أسباب النزول في مدرسة الصحابة والتابعين ، ويظهر أنَّ مصطلح سبب النزول لم يكن معلومًا في عهد الصحابة والتابعين ، إذ لم ترد عنهم رواية من الروايات تصرح أنَّ سبب النزول آية كذا ...

فقول الصحابة نزلت في كذا (فأنزل الله ...) ممكن أن تدل على سبب النزول ، وقد لا تدل عليه ، كأن يكون تفسيرًا وتوضيحًا للآية الكريمة ،(وقد عُرِفَ من عادة الصحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا ، فأنهُ يريد بذلك أنَّ هذه الآية تتضمن

(١) تاريخ القرآن ، د. محمد حسين الصغير ، ط١ ، ٤٩-٥
(٢) سورة الفرقان ، الاية : ١
(٣) تفسير القرآن برواية الأمام علي ﷺ، للسيد علي عاشور ، ط١ ، ٣٥٩
(٤) سورة آل عمران ، الاية : ٢٧٩
(٥) التيسير في تفسير القرآن ، للشيخ ماجد ناصر الزبيدي ، ج١ ، ٣٥٥

هذا الحكم ، لا أنَّ هذا السبب في نزولها ، ويمكن القول أنَّ اللبنات الأولى لمصطلح سبب النزول عبارة جملة عن روايات متناثرة متفرقة لا يضمها لمصطلح سبب النزول عبارة عن جملة من روايات متناثرة متفرقة ، لا يضمها مصطلح خاص ، ولا تجمعها مرونة معينة)[١] .

فالمفسرون يعتمدون في معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن الرسول محمد ﷺ أو عن الصحابة ، فإنَّ أخبار الصحابي عن مثل هذا لهُ حكم الرافع ، فما قالهُ ابن الصلاح (رحمهُ الله) في كتابه (علوم الحديث الثالث) ، إنَّ تفسير الصحابي ، أو نحو ذلك كما في قوله تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾[٢] ، وفي قول جابر :((كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها لا في قبلها جاء الولد أحول))[٣] ، أمّا قول التابعين نزلت في كذا فهو مرسل[٤] .

إنَّ الصحابة والتابعين لا يعتقدون أنَّ هذه التنزيلات هي السبب الرئيس الذي من أجله أنزلت الآية ، ولكنها داخلة في معناه ومنظمة له ، ولهذا عبّروا عن هذه المسألة بصيغة نزلت هذه الآية في كذا ، أو نزلت في كذا ، أو هي ما تُعرَّف بالصيغة المحتملة[٥] .

اِعتنى الصحابة والتابعين بحوادث وأحداث أسباب النزول ، إذ روي سبب النزول بحديث مرسل سقط سنده الصحابي وانتهى إلى التابعين ، فحكمه أنَّهُ لا يُقبل إلَّا إذا صحَّ بمُرسَل ، هذا ونورد مثالا لأسباب النزول لنرى مدى الحاجة القصوى للوقوف عليها ، حيثُ لولا ذلك لحرِّمَ ما أبيحَ أو لأُطلق ما قُيِّدَ أو لترك ما فُرِضَ .

إذ إنَّهُ لولا بيان سبب النزول في الآية التالية لضلَّ الناس إلى الآن يبيحون شرب الخمر، أخذًا منهم بظاهر هذه الآية .

(١) مصطلحات علوم القرآن وتاريخه بين الثابت والمتغير ، زهراء طالب عبد حمادي ، ٢٢٤-٢٢٥

(٢) سورة البقرة ، الاية : ٢٢٣

(٣) صحيح سنن ابن ماجه محمد ناصر الدين الالباني ط١ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١/ ١٤٢.

(٤) غاية المأمول في التعليقات على الصحيح المسند من أسباب النزول ، أبي عبد الله عثمان السالمي، ٢٢.

(٥) تنزل الآيات على الواقع عند المفسرين ، عبد العزيز عبد الرحمن الضامر ، ط١ ، ٤٣.

قال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ..﴾[1].

حيث روي (أنَّ بعض المسلمين كانوا يبيحون شرب الخمر ويحتجون بهذه الآية ، وخفي عليهم أنَّ سبب نزولها يمنعهم من تناول ذلك مطلقًا ؛ والسبب أنَّهُ عندما نزلت آية التحريم لشرب الخمر، قال قسمٌ من الصحابة للرسول محمد ﷺ :(يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد أخبرهم الله أنّها رجسًا من عمل الشيطان)[2]، فأنزل الله هذه الآية المذكورة)[3].

ولا سبيل إلى معرفة سبب النزول إلَّا بصحة الرواية عن النبي محمد ﷺ ، أو عن طريق الصحابة ، فيما يكون له الحكم المرفوع ، ولا مدخل فيه للرأي والاجتهاد ، فلا بُدَّ من صحة السند إلى الصحابي ، في حين أنَّ هذا هو سبب النزول .

قال الواحدي : ((لا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلَّا بالرواية والسُماع ، ممّن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علومها وجدُّوا في الطِّلاب))[4] .

كما في قول التابعي :(فإنْ صحَّ السند إليه ، فأنهُ يكون مرسلًا فيُنْظَر إن كان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة أمثال : مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبَير ، وبناءً على ما تقدَّم فأنهُ لا سبيل إلى معرفة سبب النزول إلاَّ صحة الرواية باتصال سندها إلى النبي محمد ﷺ وصحابته)[5].

إنَّ عناية الصحابة والتابعين بأحاديث أسباب النزول واسعٌ، فنقلوا أحاديث كثيرة من هذا القبيل ، ويلاحظ أنَّ هذه الأحاديث ليست مسندة وصحيحة ، بل فيها المرسل والضعيف ، فسبب النزول الذي يذكره الراوي إنما هو سببٌ اجتهادي ونظري ، وليس سبب شاهده بالعيان وضبطه بحدوده الدقيقة ، وقد ثبت تاريخيًا أنَّ الخلافة كانت تمنع

(١) سورة المائدة ، الاية : ٩٣.
(٢) لباب النقول في اسباب النزول جلال الدين السيوطي ، ١/ ١٠٩.
(٣) لمحات من تاريخ القرآن، علي الأشقر ،ط٢، ٣٩٧.
(٤) اسباب النزول الواحدي ط٢ دار الاصلاح الدمام ، ١/ ٨.
(٥) علوم القرآن ، سليمان معرفي ، ط١ ، ٥١

كتابة الحديث .

((فكانوا كلما يعثرون على ورقة ، أو لوحة كانت فيها حديث تُحرَق ، مما أدى إلى التقليل من قيمة أحاديث أسباب النزول))[1].

لقد اعتنى الصحابة بأسباب النزول وإنْ كان بعضهم قد أعلن عن تحرُّجه في القول بأسباب النزول أمام الملاء ؛ خوفًا من إيراد رواية مطعون بها زيادة منه في الحرج الديني .

وأبرز من روى أسباب النزول عبد الله بن عباس من حيث كان عالماً بجميع علوم القرآن وبخاصة أسباب النزول ، وكان أمير المؤمنين يثني على تفسيره .

ومن نماذج علم ابن عباس بأسباب النزول:

ما رواهُ الطبرسي عن ابن عباس (رضي الله عنه) في سبب نزول الآية الكريمة [2] ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

وسبب نزوله أنَّ عشرة رهط تخلَّفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وقد أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بجوار المسجد ، وكان ممّر رسول الله ﷺ ، فسأل عنهم ، قالوا : هذا أبو لبابه وأصحابٌ لهُ تخلفوا عنك يطلقهم ولما يلفهم ذلك ، قالوا : لا نطلق أنفسنا ، حتى يكون الله الذي يطلقنا ، فنزلت الآية الكريمة المذكورة[4].

اِحتج الجمهور بعدة أدلة في أسباب النزول : (فهم يَرَون أنَّ الآية لتنزل في شخص معين ثمَّ تكون عامة بعد ذلك ، فالعبرة إذن بعموم لفظها ، وليس بخصوص سببها)[5]، كما في قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللهِ وَاللهَ

(١) علوم القرآن ، حسين عبد الله ، ط١ ، ٤٥ -٤٦
(٢) أسباب النزول عند الإماميّة ، أمل سهيل ، ٣٠
(٣) سورة التوبة ، الاية : ١٠٢
(٤) ينظر معاني القرآن ، ابو جعفر النحاس ، ٣/ ٢٤١ ، و لباب النقول في اسباب النزول جلال الدين السيوطي ، ١/ ١١٠ .
(٥) أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص ، د. عماد الدين محمد الرشيد ، ٤٠٢-٤٠٣ .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فعمَّم آية السرقة .

لقد أُشكلت آيات القرآن على بعض الصحابة حتى استبان لهم سبب نزولها ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾[2] فقد وضّح لهم أبو أيوب الأنصاري سبب نزولها فعرفوا تفسيرها ، فاستبان لهم معناها.

(إنَّ معرفة أسباب النزول في آي القرآن من أجل علومه وإثراء مقاصده)[3].

وإنَّ كلام ابن تيمية يشير إلى قول الصحابي : نزلت هذه الآية في كذا ، هل يجري مجرى المسند ، كما يُذكَر السبب الذي نزلت لأجله ، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند فالبخاري يدخله في المسند وغيره لا يدخله في المسند ، وأكثر المساند على هذا الاصطلاح، كمسند أحمد وغيره ، بخلاف إذا ما ذُكِر سببًا نزلت عقبه فإنَّهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند ، وإنَّ الروايات الواردة عن التابعين وإن كانت من قبيل المسند من الصحابي وهو مرفوع أيضًا ، لكنّه مرسل ، ممّا يدل على عناية الصحابة بأسباب النزول .

روى أبو عبيدة في فضائل القرآن[4] عن الحسن البصري أنّهُ قال : (ما أنزل اللهُ آية إلاَّ وهو يحبُّ أن يُعلم فيم أُنزِلَت وما أراد بها)[5].

وقد نقل السيوطي عن ابن تيمية قوله : (إنَّ معرفة أسباب النزول تعين على فهم الآية ، ذلك أنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[6] فاللفظ يقتضي جواز الصلاة من دون استقبال القبلة في كل حال والسبب يُبيّن الحكم الواقعي)[7].

نفهم من ذلك أنَّ معرفة سبب نزول الآية ، سوف يُعين على فهم معنى الآية ، وإيضاح

(١) سورة المائدة ، الاية: ٣٨ .
(٢) سورة البقرة ، الاية : ١٩٥ .
(٣) الاستيعاب في بيان الأسباب ، سليم بن عبد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر ، ط١ ، ٥ .
(٤) فضائل القرآن ، المستغفري ، ١/ ٢٧٦ .
(٥)العجاب في بيان الأسباب ، ابن جعفر العسقلاني ، ط١ ، ١/ ١٠٥ .
(٦) سورة البقرة ، الاية : ١١٥ .
(٧) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكر ، ط١ ، ٣٨٢.

معانيها الغامضة إذ إنَّ ارتباط علم أسباب النزول في بدايته الأولى بالوحي الإلهي الذي ينزل على النبي محمد ﷺ على أثر حادثة تحدث، أو سؤال يُسأَل أو مقال يُقال ، فينزل الوحي لبيان هذا الأمر فَيُحفَظْ من حضرة أصحاب النبي محمد ﷺ ، لكنهُ يتميز بأنّه أمرٌ حادث يعقبه وحيٌ إلهي ينزل ويحفظ في الصدور ، حيث لم تكن الكتابة آنذاك أسلوبًا مستعملًا لعامّة الناس[1].

الفرق بين أسباب النزول ومناسبة النزول :

المناسبة في اللُّغة : هي المقاربة ، وفلان يناسب فلان يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب وهو القريب المتصل كالأخوين وابن العم وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة.

والمناسبة في اللُّغة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها وله فوائد كبيرة ، وهي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذٌ بأعناق بعض ، وأنَّ لكل آية مناسبة ؛ لأنّها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب ، على حسب الوقائع تنزيلًا وعلى حسب الحكمة ترتيلًا، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون .. والذي ينبغي في كل آية أن يبحث قبل كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ثمَّ المستقلة ما هو وجه المناسبة لما قبلها وما سبقت له[2].

والمناسبة في اللُّغة :هو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض ، فسيقوّي بذلك الارتباط ، فالقرآن نزل في نيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة شرَّعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى إلاَّ من ربط بعضه ببعض .

فالشيخ عز الدين عبد السلام يقول: (إنَّ المناسبة علمٌ حسن ، يشترط به أن يقع في أمرٍ مرتبط أوله بآخره، فإن وقعَ على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ، ولمعرفة المناسبة لآيات القرآن لا بدَّ من النظر إلى الغرض الذي سُبِقَت له الآية وما يحتاج إليه ذلك الغرض)[3]

وقد استعان الطباطبائي بأسباب النزول ، بعدها قرائن يمكن أن توضّح النص القرآني

(١) المحرر في أسباب النزول ، خالد بن سليمان المزيني ،ط٢ ،١/ ٣٨.
(٢) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ط١ ، ١٢-١٣.
(٣) ينظر الاتقان في علوم القرآن ، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي ، ١/ ١٨٤٠ -١٨٤٦.

وتوجهه وجهة معيّنة ، وتصدّى لأكثر هذه الروايات للتناقض الحاصل بينها فأسقط قسما كبيرًا منها ، وهو يرى أنَّ الأحكام لا تتوقف عند مناسبات نزولها ، وإنّما العبرة بعموم اللفظ ، فالقرآن الكريم تجري أحكامه حتى قيام الساعة ، وقد يعبرّ عن هذه القاعدة أحيانًا بـ (الجري وعدّ المصاديق)[1] ، وفي قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2]

فقد أتت المؤمنات مقرونة بكلمة (المؤمنين) معطوفة عليها في التنزيل العزيز ، ولعلَّ الباعث على ذكر الكلمتين متجاورتين بل متلازمتين ، هو أن تكون مناسبة النزول مما يقتضي ذلك ؛ لأنَّ الحدث الذي وصفته الآية ، أو نزلت فيه مشتمل على الجنسين أو الصنفين ، فكان المؤمنون ثمَّ المؤمنات ممّا اقتضى ذكر الكلمتين متلازمتين[3].

إنَّ علم المناسبة يرتبط ارتباطا وثيقًا بأسباب النزول ، وبالبيئة التي نزل بها القرآن ، وبطبيعة المخاطبين بالخطاب القرآني ، ولا بُدَّ من معرفة المكي والمدني ؛ لأنَّ علم المناسبة يتطلب الإحاطة بكل ما يتعلق بالخطاب القرآني.

وقد فسر السيوطي في (الإتقان) ، والزركشي في (البرهان) معنى المناسبة بين الآيات (بأنّ ذكر الآية بعد الأخرى ، أمّا أن يكون ظاهر الارتباط فعندئذ لا يخلو من وجود عطف مؤكد ؛ لوجود جهة جامعة ، وقد لا يكون هنالك عطف ، وعندئذ لا بدَّ من البحث عن القرائن المعنوية التي تؤكد وتُعْلِم بوجود روابط بين الآيات)[4].

إنَّ المناسبة لا تقلّ أهميّة عن السَّبب في الإعانة على فهم المعنى وتبيين حدود الأحكام ، وقد جرت عادة المفسرين بذكر سبب النزول فإنَّهم يقدمون أحيانًا ذكر المناسبة ، كلّما رأوا فيها الحقيقي لتوجيه المعنى والذي لا غنى عنه في نظم الكلام وجلاء المعنى .

فيقول الزركشي : إذا كان وجه المناسبة لا يتوقف على سبب النزول فالأولى تقديم وجه

(١) الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ط١ ، ١/ ١.
(٢) سورة التوبة ، الاية : ٧١.
(٣) معجم المرأة في القرآن، مهدي أسعد كرَّار، ٥٠-٥١.
(٤) مدخل إلى علوم القرآن ،محمد فاروق التيهان،ج١، ط١ ،٤٢-٤٣.

المناسبة[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[2]

فقد نزلت في كعب بن الأشرف وكان من أهل الكتاب ، قَدِمَ مكة وشاهد قتلى بدر ، وحرَّض الكفار على الأخذ بثأرهم وقتال النبي محمد ﷺ .

ويتحول السياق القرآني إلى اتجاه جديد وهو أداء الأمانة ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3]

والتي نزلت في عثمان ابن أبي طلحة (حاجب الكعبة)، لَمَّا أخذ منه رسول الله محمد ﷺ مفتاح البيت يوم الفتح ثمَّ ردَّهُ إليهِ . فوجدَ العلماء بين هذين المقطعين رابطا مشتركًا، رغم السنوات الست التي تفصل بينهما ؛ لأنَّ الزمان يشترط في سبب النزول ولا يشترط المناسبة، إذن المقصود منها وضع الآية في الموضع الذي يناسبها[4] .

(١) البرهان في علوم القرآن ، ١/ ٣٤.
(٢) سورة النساء ، الآية : ٥١.
(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٨.
(٤) البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، ط١ ، ٧١-٧٣.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن ، لأبي فضل جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧.
٣. أسباب النزول ، لأبي الحسن علي الواحدي النيسابوري(ت ٤٦٨هـ) ،ط٢ دار الاصلاح الدمَّام السعودية ١٩٩٢م.
٤. أسباب النزول القرآني ، غازي عناية ، ط١ ، دار الجيل ، ١٩٩١.
٥. أسباب النزول القرآني تأريخ وحقائق ، حسن محسن حيدر ، ط١ ، توحيد ، ١٣٨٥.
٦. أسباب النزول بين الرد والقبول، حسين عبد الله د هيثم ، ط٢ ، دار الأولياء قم ايران، ٢٠٠٨م.
٧. أسباب النزول عند الأمامية ، أمل سهيل عبد ، ٢٠٠٧م.
٨. أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام، السيد مجيب جواد جعفر الرفيعي، ١٤٢١هـ.
٩. أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص ، د . عماد الدين الرشيد ، دار شنهار ، ١٩٩٩م.
١٠. أسباب للنزول ، أبو علي الفضل الطبرسي ، ط١ ، مؤسسة البلاغ لبنان بيروت ، ٢٠١٣م.
١١. الاستيعاب في بيان الأسباب ، سليم بن عبد الهلالي ، محمد موسى آل نصر ، مج١، ط١ ، دار ابن الجوزي السعودية ، ١٤٢٥هـ.
١٢. بحار الانوار الشيخ محمد باقر المجلسي ت(١١١١هـ) ط ٣دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان١٩٨٣م.

١٣. البرهان في تناسب سور القرآن ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير(ت٧٠٨هـ) ، ط١ ، دار أبن الجوزي السعودية ١٤٢٨هـ .
١٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد الزركشي(ت ٧٩٤هـ) ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٧م.
١٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، مجد الدين أبي الفيض الحسيني(ت ٨١٧هـ)، دار الفكر دمشق سوريا، ١٩٩٤م.
١٦. تأريخ القرآن ، للدكتور محمد حسين الصغير ، ط١ ، دار المؤرخ العربي ، ١٩٩٩م.
١٧. التفسير البياني للقرآن الكريم، لبنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن.
١٨. تفسير القرآن برواية الإمام علي ﷺ ، للسيد علي عاشور ، ط١ ، دار الصفوة القاهرة مصر ، ٢٠١١م .
١٩. تنزل الآيات على الواقع عند المفسرين ، عبد العزيز الضامر ، ط١ ، ٢٠٠٧م.
٢٠. التيسير في التفسير القرآني ، ماجد ناصر الزبيدي ،دار المحجة البيضاء بيروت لبنان سنة الطبع ٢٠٠٧م.
٢١. دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد عبد الرحمن الرومي ، ط١٢ ، ٢٠٠٣م.
٢٢. دراسة حول القرآن الكريم ، محمد حسين الجلالي ، ط١ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ٢٠٠٢م.
٢٣. الصحاح ، لأبي نصر إسماعيل الجواهري ت (٣٩٢)، ج١ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.
٢٤. صحيح أسباب النزول ، إبراهيم محمد العلي ، ط١ ، دار القلم ، ٢٠١٤م.
٢٥. صحيح البخاري ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ)ط١ دار ابن كثير بيروت لبنان ٢٠٠٢م.
٢٦. صحيح سنن ابن ماجه محمد ناصر الدين الالباني ط١ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض السعودية١٩٩٧م.

٢٧. الصحيح المسند من أسباب النزول ، أبي عبد الرحمن مقيل الوادعي ، ط٢ ، دار ابن حزم ، ١٩٩٤م.
٢٨. العجاب في بيان الأسباب ، ابن حجر العسقلاني ، ط١ ، دار أبن الجوزي ، ١٩٩٧م.
٢٩. علوم القرآن ، حسين عبد الله هيثم ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، ٢٠٠٥م.
٣٠. علوم القرآن ، للسيد محمد باقر الحكيم ، ط٣ ، دار التعارف للمطبوعات ، ١٩٩٥م
٣١. غاية المأمول في التعليقات على الصحيح المسند من أسباب النزول ، أبي عبد الله عثمان السالمي ، مكتبة صفاء الأثرية ، (د.ت) .
٣٢. في علوم القرآن ، سليمان معرفي ، ط١ ، مجلس النشر العلمي ، ٢٠٠٣م.
٣٣. القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، هاشم الموسوي ، ط١ ، مركز القدير للدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٠م.
٣٤. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكر ،ط١ ،٢٠٠٧م.
٣٥. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت(٨٥٥هـ) ، ط١ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ٢٠٠٢م.
٣٦. اللباب في تفسير الكتاب ، للسيد كمال الحيدري ، ط١ ، دار فرقد ، ٢٠١٠م .
٣٧. لسان العرب ، ابن منظور ت(٧١١هـ) ، ط٣ ، مؤسسة التأريخ العربي في دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.
٣٨. لمحات من تاريخ القرآن ، محمد علي الأشقر ، ط٢ ، مؤسسة الأعلمي ، ١٩٨٨م.
٣٩. المحرر في أسباب نزول القرآن ، د خالد بن سليمان ، ط٢ ، دار ابن الجوزي ، ١٤٢٩.
٤٠. مدخل في علوم القرآن الكريم ، محمد فاروق النبهان ،ط١ دار عالم القرآن حلب سوريا، ٢٠٠٥م.

٤١. مصطلحات علوم القرآن وتاريخه بين الثابت والمتغير ، زهراء طالب حميد حمادي، ٢٠١٦م .

٤٢. معجم المرأة في القرآن الكريم ، مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧١م.

٤٣. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت(٣٩٥هـ) ، ط١ ، دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٤٤. موجز تأريخ القرآن ، عبد الأمير النجار ، ط١ ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي ، ٢٠١٣م .

٤٥. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ج١ ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٧.